رأي القدس

مؤسسة القمة العربية تحتضر

■ تشير وقائع قمة الخرطوم الى ان مؤسسة القمة العربية دخلت مرحلة الاحتضار، بعد ان فقدت الكثير من اهميتها، ولم تعد تحظى باهتمام المواطن العربي.

هناك عدة مؤشرات تؤكد هذه الحقيقة، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

● اولا: تغيب تسعة زعماء عرب عن حضور قمة الخرطوم، ومن بين المتغيبين زعيما اكبر دولتين عربيتين، الاول الرئيس حسني مبارك الذي يمثل اكبر دولة عربية من حيث الثقل البشري والسياسي، والثاني الملك عبد الله بن عبد العزيز زعيم اغنى الدول العربية، واكثرها تأثيرا في المجال الاسلامي، بحكم وجود الحرمين الشريفين على ارضها.

● ثانيا: اختصار مدة القمة العربية الى يوم واحد واختصار جدول اعمالها الى قضايا ثانوية، مع تجنب البت في القضايا الرئيسية الكبرى، حيث لوحظ ان القمة لم تعالج قضية العراق وبالشكل المطلوب، ورفضت وجود اي تمثيل لحركة المقاومة الاسلامية «حماس» فيها رغم فوزها في الانتخابات التشريعية الاخيرة.

● ثالثا: سجلت قمة الخرطوم ظاهرة خطيرة وهي ازدواجية التمثيل، فقد لوحظ ان هناك خلافا على تمثيل لبنان بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وخلافا آخر على تمثيل فلسطين بين رئيس السلطة ورئيس وزرائها، وخلافا على تمثيل العراق جرى حسمه بغياب الاثنين، اي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

● رابعا: تهرب المملكة العربية السعودية من استضافة القمة المقبلة في الرياض واعلان وفدها الاعتذار عن هذه الاستضافة وتفضيل عقدها في دولة المقر اي مصر. وهذا يعني ان السعودية وهي من اكبر الدول العربية، واكثرها فاعلية في مؤسسة القمة والعمل العربي المشترك، قررت نفض يديها من هذه المؤسسة، ربما من قبيل اليأس او من قبيل تجنب الاحراج، لان قمة مكة الاسلامية التي استضافتها في مطلع هذا العام لم تحقق النجاح المطلوب، وشهدت تغيب العديد من الزعامات العربية والاسلامية، وعقد قمة عربية في ظل الخلافات الحالية ربما يؤدي الى تغيب اكبر.

● خامسا: انحسار الاهتمام الدولي بالقمة العربية، فقد لوحظ ان اهتمام وسائل الاعلام الدولية بالقمة محدود للغاية، ونادرا ما اشارت اليها وسائل الاعلام العالمية المرموقة، وحتى الاهتمام العربي الاعلامي كان في حدوده الدنيا وركز على السلبيات، مثل غياب الزعماء العرب، والخلافات بينهم، بسبب قلة الايجابيات.

وهذا التراجع في الاهتمام بالقمم العربية امر مؤسف بكل المقاييس ويصب في مصلحة الولايات المتحدة الامريكية والدولة العبرية اللتين لا تريدان اي تجمع عربي، وتسعيان من اجل التعامل مع الدول العربية منفردة، وليس كتجمع اقليمي متجانس.

المشكلة ليست في مؤسسة القمة، من حيث كونها مؤسسة جامعة، وانما في الزعامات العربية التي باتت عاجزة عن تقديم اي حلول للمشكلات المستعصية، جديدة كانت او قديمة. فالتهرب من الحضور هو دليل عجز، وعدم الرغبة في مواجهة هذه المشاكل وايجاد مخارج جماعية لها.

ان اعتذار المملكة العربية السعودية عن عدم استضافة القمة المقبلة، وهي الدولة صاحبة المبادرات الهامة، مثل مبادرة الطائف لحل ازمة لبنان، ومبادرة السلام العربية التي اطلقت في الرياض وتبنتها قمة بيروت، وقبلها مبادرة الملك فهد، هو بمثابة رصاصة الرحمة على مؤسسة القمة العربية، وربما الجامعة العربية نفسها.

العمل العربي المشترك برمته اصبح في حال من الشلل المطلق، بعد ان شاخت معظم قياداته، الامر الذي يتطلب قيادات جديدة تعيد صياغته من جديد وفق اسس جديدة تتناغم مع روح العصر، والمقصود هنا اسس الديمقراطية والشفافية والتطلعات الشعبية.

ايران والعراق والولايات المتحدة: أخطار ومخاوف متبادلة

د. بشير موسى نافع *

■ أخيراً، ستكون هناك مباحثات امريكية ـ ايرانية حول العراق. الوساطات لعقد هذه المباحثات والتحضيرات لها لم تتوقف منذ زمن. ولكنها اليوم تزداد الحاحاً؛ سواء بالنسبة لطرفيها الرئيسيين أو للوسطاء العراقيين من المعسكر السياسي الشيعي. وهذه هي الأسباب.

تواجه الولايات المتحدة في العراق هزيمة لم تتلق مثلها منذ الحرب الفيتنامية. فعندما تسقط كل مبررات الغزو، عندما تعجز قوات الاحتلال عن ضبط أمن البلاد واحتواء قوى المقاومة، عندما تفقد الادارة الامريكية في العراق القدرة على التحكم في العملية السياسية، وعندما تزداد التكلفة المادية والبشرية لمشروع احتلال لا أفق ولا نهاية واضحة له، فهذه لا يمكن ان تكون الا هزيمة. ولكن واشنطن لا يمكن ان تسلم بالهزيمة بسهولة، فقد كان غزو العراق جزءاً من تصور امريكي جديد للعالم، تحتل فيه الولايات المتحدة نظرياً وفعلياً موقع المسيطر على الشأن العالمي من خلال استعراض القوة وعزيمة تغيير الدول، ومن خلال التحكم بواحدة من أهم مناطق العالم اضطراباً وثروة وموقعاً استراتيجياً. كان المقصود بالعراق ان يكون شاهداً على قوة النموذج الامريكي السياسي والفكري، ساحة لانتصار الحرية والديمقراطية في صيغتها الامريكية ـ الأوروبية، مصداقاً لعالمية اقتصاد السوق ولفعالية قيم الاستهلاك والسينما والفنون الامريكية. الاعتراف بالهزيمة في العراق سيترك أثره على موقع الولايات المتحدة العالمي، وعلى الادعاء العالمي للنموذج الامريكي. أحد أهم وسائل التخلص من شبح الهزيمة هو تغيير الاستراتيجية الامريكية في العراق. وهذا ما تحاوله ادارة الرئيس بوش الآن.

بنيت السياسة الامريكية في مطلع الاحتلال على أساس التعامل مع العراقيين كسنة وشيعة وأكراد، بحيث تحطم قوة السنة، يعزز التحالف الاستراتيجي مع الأكراد، ويطور تحالفا مع الشيعة يساهم في بناء عراق امريكي التوجه ويساعد على تقويض النظام الاسلامي في ايران. ولكن الأمور لم تسر طبقاً للتصور الامريكي. ولدت في أوساط السنة مقاومة صلبة، جعلت العراقيين السنة الرقم الأصعب في الوضع العراقي. لم تستطع القوى الشيعية الأقرب لواشنطن تأمين جذور شعبية لها؛ أما القوى الشيعية الأخرى ذات الصلات الامريكية ـ الايرانية المركبة فلا يمكن أن تؤمن تماماً من واشنطن. وبينما عجزت الطبقة السياسية الجديدة عن وضع قواعد دولة حقيقية، انحدرت البلاد الى حافة الحرب الأهلية الطائفية. المراهنة الوحيدة التي أثبتت صدقيتها هي التحالف مع الأكراد، وذلك للوضع الخاص جداً في المنطقة الكردية. ولكن حتى هنا لن تلبث المطالب الكردية المبالغ فيها أن تضيف عوامل تفجير جديدة للوضع العراقي الانقسامي.

بوصول الأوضاع الى ما وصلت اليه، بدأت المؤشرات على تغيير في استراتيجية العمل الامريكي. يقوم التوجه الامريكي الجديد على التراجع التدريجي عن النظام الطائفي لصالح قيام حكومة تآلف وطني، وعلى تحجيم سيطرة القوى الشيعية على النظام الجديد لصالح مشاركة أوسع للقوى السنية. احدى الطرق التي يحاول الامريكيون في العراق انتهاجها هي منع الجعفري من استلام رئاسة الوزراء، أو اطاحة حكومته في أقرب فرصة ممكنة، واستبداله بایاد علاوي. تستهدف هذه المراجعة محاصرة النفوذ الايراني المتزايد في العراق، لاسيما في العلاقة مع التيار الصدري، ومحاصرة المقاومة العراقية بادماج القطاع الأوسع من السنة العراقيين في النظام الجديد. وتستهدف اخراج العراق من المراهنة الايرانية على مواجهة الضغوط الامريكية والأوروبية المتعلقة بالملف النووي الايراني. كما تستهدف تطمين الحلفاء العرب المتخوفين من الانهيار الطائفي والنفوذ الايراني في العراق، ودفع هؤلاء الحلفاء نحو بذل مزيد من الجهد لانجاح المشروع الامريكي. هذه هي الأهداف التي سيحاول الامريكيون تحقيقها من المفاوضات مع الايرانيين.

ايران من جهة اخرى ترغب في رؤية حلفائها يحكمون سيطرتهم على الشأن العراقي، ولكنها تتخوف انفجار حرب أهلية طائفية في العراق. حرب أهلية طائفية ستضع طهران في موقع بالغ الحرج؛ فهي ان مدت يد العون للقوى الشيعية ستجد نفسها وقد تحولت من جمهورية اسلامية الى قوة شيعية توسعية، وتخسر بالتالي حلفاءها الكثر من القوى الاسلامية السنية. كما قد يؤدي الانفجار الطائفي في العراق الى اتساع نطاق الشرخ الطائفي في أنحاء المشرق العربي ـ الاسلامي كافة، وفي ايران نفسها. وتتخوف طهران من العبث الاستخباراتي الأنكلو ـ امريكي في المناطق الكردية الايرانية، وفي المناطق السنية جنوب شرقي ايران، وفي المناطق العربي الايرانية الجنوبية. هذا، ناهيك عن المعارضة الايرانية مختلفة القوى في الخارج، لاسيما مجاهدي خلق، الذين يتلقون رعاية امريكية خاصة ويشكلون هاجساً أمنياً دائماً للحكومة الايرانية. ولكن لايران مصالح في العراق، تتراوح بين الصلات ذات الطابع الاسلامي الشيعي، والخشية من قيام نظام حكم عراقي جديد معاد لايران، والخوف من ان يؤدي الاستقلال الكردي في العراق الى عودة المشكلة الكردية في ايران، الى المصالح الاقتصادية والنفطية. ايران، باختصار، تريد ان تكون شريكاً معترفاً به في رسم صورة العراق السياسية القادمة. واضافة الى ذلك كله، تأمل القيادة الايرانية في أن تفضي المباحثات مع الامريكيين حول العراق الى فتح باب المفاوضات حول قضايا التدافع الامريكي ـ الايراني، وعلى رأسها الملف النووي. فليس من الممكن ان لا يؤثر التفاهم بين الطرفين في العراق على ملفات الخلاف الأخرى.

أما الأطراف العراقية السياسية الشيعية فتتباين في موقفها من المفاوضات الامريكية ـ الايرانية تباينها في الكثير من المسائل. ولكن من الضروري عدم المبالغة في هذا التباين، نظراً لأن هذه القوى تجد في ايران حليفاً استراتيجياً مهما كانت الاختلافات حول التفاصيل. جاءت الدعوة الى حوار امريكي ـ عراقي حول العراق من السيد عبد العزيز الحكيم، زعيم أكثر القوى العراقية السياسية الشيعية ارتباطاً بطهران. ولكن هذه الدعوة ليست بنت لحظتها، فقد تداولتها قيادات سياسية شيعية طوال أكثر من عام؛ كما أنها وجدت قبولاً مبدئيا لدى السفير الامريكي في بغداد ورؤسائه في واشنطن من قبل. هدف الحكيم ومن أيد فكرة الحوار من القيادات السياسية الشيعية هو اخراج عامل التوتر الامريكي ـ الايراني من الساحة العراقية، مما سيساعد على محاصرة المخاوف الامريكية من القوى السياسية الشيعية ويعود بالسياسة الامريكية الى ما كانت عليه في مرحلة الاحتلال الأولى، أي افساح المجال لسيطرة القوى السياسية الشيعية على النظام العراقي الجديد. كما يخدم الحوار في محاصرة المأزق الذي قد تواجهه هذه القوى ان انفجر الخلاف الامريكي ـ الايراني، ووجدت نفسها أمام خيار مساندة ايران وخسارة الامريكيين في العراق، أو الامتناع عن الوقوف الى جانب ايران والوقوع كلياً في أسر القرار الامريكي. وليس من المستبعد ان تكون لدعوة الحكيم أهداف سياسية شيعية داخلية، بمعنى تعزيز الوضع المهتز للمجلس الأعلى في مواجهة الصعود الحثيث لتيار الصدر. بلعبه دور الوسيط الصغير بين الايرانيين والامريكيين، يقدم الحكيم خدمة ملموسة للطرفين ويظهر في الساحة العراقية الشيعية بمظهر القوة ذات المصداقية السياسية.

المعارضة التي وجدتها دعوة الحكيم من التيار الصدري هي معارضة مفهومة. فالتيار الصدري، من ناحية، يتحسس ضيق الحكيم بتعاظم قوته؛ كما أنه يرغب بالفعل، وبالرغم من كل التجاوزات الطائفية للمنتمين الى التيار، للعب دور وطني. ولم تخف على الصدريين الصبغة الطائفية لقيام الحكيم بتوجيه الدعوة الى الحوار الامريكي ـ الايراني، كما لم تخف عنهم ما تستبطنه الدعوة من خدش في ولاء الحكيم العراقي الوطني. اذ كيف لعراقي مسؤول ان يلعب دور الوسيط في عقد مفاوضات بين دولتين خارجيتين حول الشأن العراق؟ ونظراً لأن الدافعين الطائفي والوطني هما ما حرك المعارضة السياسية السنية لخطوة الحكيم، فقد أراد الصدريون اظهار تضامنهم مع المخاوف السنية. بغير ذلك، فليس لدى التيار الصدري معارضة جوهرية لفكرة المفاوضات الامريكية ـ الايرانية، طالما انها لن تتطرق الى موازين القوى الشيعية السياسية نفسها.

مثل هذا التضارب في الأهداف والمخاوف والتصورات ليس من السهل التغلب عليه. ثمة رغبة امريكية ـ ايرانية في تجنب الحرب الأهلية؛ ولكن ما عدا هذه الرغبة فان أهداف الطرفين في العراق تبدو متناقضة الى حد كبير. والى جانب هذا التناقض تبرز مصالح القوى الشيعية السياسية في العراق، التي تتباين مع الاستراتيجية الامريكية الجديدة ويصعب ان يتصور قيام ايران بعقد اتفاق مع الامريكيين على حسابها. هذا اضافة الى المخاوف السنية العراقية، ومعارضة قوى المقاومة، والقلق العربي الرسمي، حتى في العواصم الصديقة لواشنطن. مهما بلغ اختلاف القوى والشخصيات العراقية السنية، وتباين خلفياتها ووجهات نظرها، فمن الواضح ان الوعي العراقي السني الجمعي هو وعي عراقي وطني، وان السنة ينظرون لأنفسهم بصفتهم حماة الكيان العراقي ومصالحه. وبالنظر الى التاريخ القلق والمعقد للعلاقات العراقية ـ الايرانية، يجد المعسكر السني صعوبة في تقبل الدور الايراني أو في امكانية تقاسم المصالح بين ايران والولايات المتحدة في العراق. أما الدول العربية المعنية، التي استجابت للضغوط الامريكية بالابتعاد عن التدخل في الشأن العراقي الا من النافذة الامريكية، فليس لها ان تلوم الا نفسها. فقد ترك الصدام الكبير بين الاحتلال والمقاومة فراغاً سياسياً في العراق، كان لابد للقوى الاقليمية ان تحاول تأمين مواقع لها فيه. وبينما عملت ايران على تعزيز مواقعها في العراق بكل الوسائل، نأت الدول العربية بنفسها عن الساحة العراقية. ولكن أحداً لا يجب ان يقلل من حجم ردود الفعل العربية ان توصلت المفاوضات الامريكية ـ الايرانية الى تفاهم يهدد انتماء العراق العربي، أو يؤسس لأزمة طائفية في كل المنطقة. وبالرغم من التهاون العربي الرسمي أمام الضغوط الايرانية، فواشنطن لا تزال في حاجة ماسة للتعاون العربي في العراق.

كل هذا يجعل امكانية التوصل الى تفاهم امريكي ـ ايراني في العراق مسألة بالغة الصعوبة. ولكن التفاهم ليس مستحيلاً. ما قد يجعل عقد صفقة بين الطرفين ممكناً ان تكون مخاوفهما الحقيقية أكبر من تقديرات المراقبين. بمعنى ان يكون الاحساس الامريكي بالتورط والهزيمة في العراق أكبر بكثير مما يبدو، وأن تكون المخاوف الايرانية من الخطر الامريكي ـ الأوروبي على كينونة الجمهورية وتماسكها الداخلي أكبر بكثير مما تبدو. عندها ستكون المنطقة كلها مقبلة على عهد جديد، لن يقل اضطراباً وتدافعاً من الوضع الراهن، ولكنه مختلف على أية حال.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

هل تستطيع السلطة العربية التي تقهر الشعب ان تدافع عنه؟

ميشيل كيلو *

■ ليس هناك من مبرر يسوغ قيام الحكومات العربية برفض الديمقراطية كبديل تاريخي للأوضاع القائمة غير موقف لا عقلاني يضع مصالح النظم فوق مصالح دولها ومجتمعاتها، أو يعتبرها نقيضا لها، يجعل لتلبية مصالح الحكام معنى نفي مصالح الدولة والمجتمع في بلدانهم، وبالعكس.

هل بلغت أوضاعنا درجة من السوء تجعل من المحال تحقيق مصالح الحكام في إطار مصالح الدول والمجتمعات العليا، وتحتم أن يقلع هؤلاء، بالتالي، عن الاستجابة لما يفترض أنه مهمتهم الرئيسية: خدمة أوطانهم، وأن يحصروا همهم في خدمة أنفسهم، بعد وضع مصالحهم في سياق يبعدهم عن مجتمعاتهم، يملي عليهم مواقف تتخذها في العادة زمر وفئات فقدت الرغبة في التعبير عن شعوبها، وتحولت إلى عصابات تفتقر إلى الشرعية، بما فيها ذلك النمط الذي يحدده خطابها، ويتغنى بقيم أزالتها ممارسات النظم نفسها من واقع بلدانها وحياة مواطنيها، بسبب التعارض بينها وبين سياساتها العملية؟

هذا الوضع، الذي بدأ بإسقاط الدولة والمجتمع، كان لا بد أن يقوض، بعد تراكم معين، مواقع السلطات الحاكمة ذاتها، التي عملت من أجل سقوطهما لاعتقادها أنه كفيل بتقويتها وتأبيد حكمها، لكنها تكتشف في أيامنا أنه ألقى بها إلى فراغ استراتيجي وأفقدها الأرضية الضرورية لوجودها واستمرارها، وجعلها عاجزة بالذات عن إقامة أوضاع عادية في بلدانها تمكنها من الدفاع عنها أو حتى عن نفسها. اكتشفت السلطات هذا متأخرة: حين لاح خطر نجاح الخارج في استغلال السانحة وأخذت امريكا تتحدث عن تغيير النظم الإقليمية، وظهر جليا أنه ليس هناك من جيوش أو أحزاب تستطيع حماية نظمها، وأن الجهة الوحيدة القادرة على ذلك هي مجتمعاتها، التي اكتشفت أيضا كم أضعفتها وأفقرتها في الحقبة السابقة، فخافت منها ورفضت الاحتماء بها، لما يعنيه ذلك من تخل عن نهجها السائد وانقلاب في وظائفها وأولوياتها، وفضلت التمسك ببديلين لطالما جربتهما، يقوم أولهما على احتواء أزمتها بالتفاهم مع الخارج، بالتكيف مع سياساته ومصالحه، ويقوم ثانيهما على تعبئة تأييد داخلي انتقائي عبر تهييج يستثير عواطف وطنية المظهر

تحول الخطر المحدق بالسلطة إلى خطر على الوطن، وتجعل من مصالحها الأنانية والضيقة مصالح عليا للدولة والمجتمع. في الحالة الأولى: أرادت السلطات لتكيفها مع الخارج أن يكون بديلا للديمقراطية، وكذلك الأمر في الحالة الثانية كذلك، رغم أن البديل الأول يبقي الجماهير خارج اللعبة، والثاني يدخل قسما منها إليها، بشروط تعزز قدرة السلطة على الوصول إلى البديل الأول، من حيث تقنع الخارج بأنها سلطة قادرة على تعبئة الشارع، الذي لا ينشد الديمقراطية وإنما يتحرك لدعمها هي، وقادرة أيضا على إخماده، بمجرد وقوع تسوية مع امريكا تجعل الهدوء واستمرار الأمر السياسي القائم مطلوبا، ولو في صيغ معدلة.

نجحت السلطات، إلى هذه اللحظة، في تجاوز المأزق الديمقراطي، مع أنه مأزق وجودي بالنسبة إلى الدولة والمجتمع العربيين، لعب دورا خطيرا في ابتعاد الرسمية العربية عن شعوبها وفي اغترابها عن حاجاتها ومطالبها، بل وفي تقويض أسس وجودها، التي اهتزت كثيرا بعد أن تبين مدى تصميمها على مقاومة الخيار الديمقراطي، الذي كانت تعلن موافقتها عليه وإن أرجأت تحقيقه إلى ظروف ملائمة، وعلى بلوغ تسوية على حساب بلدانها مع خارج لطالما حرضت الجماهير ضده ووصفته بالعدو، لكنها في ساعة الحساب وافقت على ربط مصيرها به، مع الاستمرار، على المقلب الآخر، في التلاعب بشعبها وقمعه، مع ما يعنيه هذا النهج من تعاظم في المشكلات، التي قد تدفعه إلى التمرد، ما دام للضغط حدود إن تعداها أفضى إلى ضرب الهدوء الذي يريد استتبابه.

تنأى السلطات العربية عن الإفادة من الفرص التي تتيحها الديمقراطية لها، بما في ذلك فرص المصالحة الداخلية والقيام ببداية جديدة، وتنأى عن شعوبها، التي ترى في الديمقراطية شيئا يتخطى السياسة وملابساتها يتصل به وجود دولها وأوطانها، خاصة بعد تجربة العراق، التي بينت كم يمكن للخيار الديمقراطي أن يكون خيار إنقاذ الدولة والبلد، وكيف أدى التلاعب به وتجاهله إلى تدمير كل شيء، وخاصة السلطة الحاكمة. هل هناك من حاجة إلى تأكيد حقيقة خطيرة ذات وجهين، هي أن الاستعصاء الديمقراطي يجعل اختراق المجتمعات العربية سهلا من جهة، ويحول ابتزاز النظم وإسقاطها إلى مسألة وقت، بالنظر إلى أن مجتمعاتها: عنصر قوتها الأخير المتبقي، لا تقف إلى جانبها، وأنها ستسعى إلى التخلص منها بأي شكل، إن واصلت سياساتها الراهنة، التي لا تترك لها من بديل غير الاستعانة حتى بالأجنبي، للخلاص من حكام ليس لهم من مهمة غير القضاء عليها ورفض رغباتها وسجنها داخل وضع في استمراره هلاكها، كما تقول تجربة العراق المأساوية؟

ماذا يعني قيام النظم بمقاومة الديمقراطية؟ ثمة هنا أمران يستحقان الذكر هما:

- إن مقاومتها تعني ثقتها بأن شعوبها ومجتمعاتها لن تؤيدها أو تقف إلى جانبها، إذا ما نالت حريتها. تقول السلطات العربية بلغة صريحة إنها تتنكر لحق شعوبها في الديمقراطية والحرية، لأن شعوبها لن تستخدمهما لصالح أوطانها؟ بكلام آخر: إن الشعب سيخون وطنه، متى صار حرا، فمن الضروري، إذن، الدفاع عن الوطن بحجب الحرية عن المجتمع والمواطن وبمنعهما من بلوغها أو من إقامة نظام ديمقراطي! هذا هو منطق السلطة العربية وذاك هو مضمون خطابها! ليس لدينا أي تعليق نضيفه هنا غير إدانة هذا المنطق المقلوب، الذي يحول سلطة تتاجر بالوطن وتستهتر بمصالحه وتتحين الفرص للتفاهم مع الأجنبي عليه إلى مدافع عنه، وتجعل الشعب، الذي لطالما ضحي في سبيله وكافح من أجله خائنا يجب ضبطه ... بالقمع!

- إن مقاومتها تعني إدراكها أن امريكا لا تريد الديمقراطية، بسبب مخاطرها الهائلة على خططها ومصالحها وخطط ومصالح إسرائيل، وأن امريكا وإسرائيل تفضلان أي أمر قائم عليها، خاصة ان كان قادرا على ممارسة استبداد وظيفي وفعال، وأنها تعتبره في نهاية المطاف وفي المسكوت عنه حليفا لها، وأن ما بين السلطات وواشنطن سحابة صيف ستنقشع، خاصة وأن القوى الديمقراطية معادية في معظمها لواشنطن وسياساتها.

إلى أن تحل عقد الوضع العربي الراهن في مستوياته الرسمية والشعبية الداخلية، وأصعدته الإقليمية والدولية الخارجية، سيزداد وضع العرب ضعفا على ضعف وعجزا على عجز. ولن يكون هناك من مخرج في ظل سلطة لديها قوة تكفي لقهر وكبح شعوبها، وشعوب لديها يأس يكفي لدفعها إلى وضع يدها في يد الشيطان ذاته، إذا ما استمرت سياسات حكامها الراهنة، وخارج لديه تصميم يكفي لجعله قادرا على جني ثمار الانهيار العربي المفزع والشامل، الجاري على قدم وساق.

ثمة مرحلة من حياة العرب شارفت على الانتهاء، لكن ثمن موتها سيكون مرتفعا إلى درجة يصعب تخيلها، مع أنه ثمن واجب الدفع على أية حال، ما دام وجود العرب يتطلب دفعه، بجميع الأشكال الممكنة والمطلوبة، وإلا أفضت نقطة الضعف الشامل، التي تمسك بنا جميعا، حكاما ومحكومين، إلى هلاكنا الأكيد!

* كاتب من سورية

مؤتمرات القمة والتاريخ والفلسفة

د. علي محمد فخرو

■ اجتماعات مؤتمرات القمة العربية هي من أفضل المناسبات للتمعن في الكيفية التي يتعامل بها القادة العرب مع قضايا الشعوب العربية، دعنا أولاً نفحص البديهيات النظرية:

أولا: ان المؤتمر هو في الأساس لقادة الدول العربية وليس لوزراء خارجيتهم أو موظفي دولهم الكبار، وهو مؤتمر لاتخاذ القرارات التي لايمكن التوصل اليها الاّ بالحوار بين متخذي القرار أنفسهم، لكن الذي يحدث في الواقع أن الحوار يجري بين الوزراء لبضعة أيام تسبق القمة بينما يجتمع القادة لمدة يوم واحد فقط ليصادقوا على القرارات، هناك مقولة شهيرة من أن الهدف من الحوار ليس الانتصار وانما التقدم، فاذا كان الحوار معدوماً في اجتماعات القمة بين الرؤساء فهل نأمل في تقدم يذكر في نوعية القرارات التي تصدر عن مؤتمرات القمة سنة بعد سنة وعقداً بعد عقد؟

ثانياً: كان الفيلسوف اليوناني أفلاطون يقول بأن هناك فرقاً بين الرأي وبين الحقيقة، فالرأي هو محلي وهو مؤقّت وهو غير كامل، بينما أن الحقيقة، نُعني بما هو كامل ودائم وغير متغير ولا يحتاج الانسان الى كبير عناء ليخلط أن أغلب ما يقال في مؤتمرات القمة هو خليط من الثرثرة الديموغاجية التي لا تراعي حتى أبسط قواعد التعامل مع حقائق القضايا المطروحة ومن الآراء الشخصية المؤقتة التي لاتذهب الى جذور المواضيع التي تناقش، ولنتذكر أن ابنة عم الرأي هي العواطف الفجّة وليس العقل المتزن.

واذن فالمقدمات النظرية تشير الى ضرورة عدم أخذ مؤتمرات القمة العربية بجدية وعدم انتظار نتائج كبرى، ومع ذلك فهناك فوائد يمكن أن يجنيها القادة العرب لأنفسهم كأشخاص من جرّاء اجتماعهم في الخرطوم بالذّات.

فأولاً: لعلّ مدينة الخرطوم تذكّر أصحاب تمديد ولايات الحكم غير الشرعية بسوار الذهب السوداني الذي وعد شعبه بترك الحكم في نهاية مدة حددها ثم نفّذ وعده ذاك، سوار الذهب سيدخل التاريخ من خلال احترام الشارع العربي كله له، وغيره من المتلاعبين بالدساتير والقوانين ليبقوا هم وأولادهم في الحكم سيدخلهم التاريخ في حفره وسيهيل عليهم تراب النسيان الأبدي.

وثانيا: هناك تعريفان لكلمة المستبد : أحدهما انه الحاكم المطلق، والثاني أنه الحاكم القامع لشعبه، ولقد مرّ الحكم في الخرطوم بممارسة كلا النوعين من الحكم، المطلق والقمعي، فلم يجن سوى الخراب الذي سيشاهده القادة العرب في كل مكان، ولقد تمّ كل ذلك تارة باسم مبادئ ثورية عظيمة وتارة باسم دين عظيم ففشل الحكم في كلتا الحالتين لأن عظمه ولحمه كان الاستبداد، فلعلّ القادة العرب يعون كل ذلك في الخرطوم ويبقونه في نفوسهم بعد عودتهم الى عواصم بلدانهم.

ثالثا: ان السودان الذي يزورونه كان ولايزال من أغنى بلاد العرب، وكان يستطيع، لو وجد فيه الحكم الرشيد، أن يكون شعبه في بحبوحة من العيش الكريم، لكن تعاقب حقب الفساد الاداري والمالي والسياسي وتبديد الثروات في الصراعات الأثنية والدينية أضاعا فرصة تاريخية قد لا تعود أبداً، واليوم يواجه معظم قادة العرب في بلدانهم نفس المشاكل ويتعاملون معها بنفس الأساليب، في بلد كالعراق تهدر أموال البترول على الصراعات الفرعية أيّاها وفي الخليج تهدر أموال البترول على كثير من السّفه والفساد والأقليات المترفة وفي بلدان كثيرة أخرى تتركّز الثروات في أيادٍ قليلة ويتركّز الفقر في جموع الناس، لعلّ القادة يتعلمون في الخرطوم درساً مفاده أن الخير الذي لايعم الجميع، وأن الثروة التي لا تستعمل في أغراض البناء والتقدم والتنمية لايقودان الألما رأوه بأم أعينهم من أناس حفاة عراة ينخر عظامهم الذل والقهر والضياع.

هل يأمل الانسان في أن ينتج عن مؤتمر الخرطوم بعض من هذه الفوائد على الأقل؟ أشك في ذلك، لقد كان الكاتب اليوناني القديم ثيوسيديس يقول بأن التاريخ هو فلسفة تعلّم بالقدوة والتماثل، لكن من قال بأن قادة العرب يعرفون التاريخ أو الفلسفة؟

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364